عقيدتي

الحَلَقة
الثانية

دروس في العقيدة الإسلامية
على ضوء مدرسة أهل البيت
عليهم السلام
(معرفة الخالق سبحانه وتعالى)

محمد قمبر

بمشاركة الأساتذة:
حميد حسن حبيب
جواد هيات أحمد
محمد حسن علي

بسم الله الرحمن الرحيم

عقيدتي

(مجموعة من الدروس والبحوث حول العقيدة الإسلامية)

في هذه الحلقات

- نتناول أهم مباحث العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام.
- نُعطي الفكرة العامة، ثُم نُحيلك إلى بعض المصادر إذا كنت ترغب في الاستزادة والتوسع.
- علماً بأنّ جميع المصادر المذكورة في هذه الحلقات متاحة في شبكة الانترنت.
- وحتى تكون هذه الحلقات صالحة للتعلم والتعليم ذكرنا بعض الأنشطة المساعدة، ويمكن للمعلمين والمربين أن يضيفوا ما يرونه مناسباً لطلابهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يسعدنا أن نقدم لكم هذه السلسلة تحت عنوان "عقيدتي "

حاولنا جاهدين أن يكون مستوى هذه الحلقات بسيطاً ومتدرجاً، فإن كنتَ مبتدئاً في قراءة هذا النوع من الدراسات والبحوث العقائدية ، ننصحك بأنْ تدرس حلقات هذه السلسلة من البداية ، وهكذا تتدرج إلى المستويات الأعلى .

عندما يكون الإنسانُ أعْلَمَ بمسائل العقيدة؛ فإنّه سيكون أقدر على توسيع آفاق رؤيته الكونية، وارتقاء مستواه الديني في الصعيد الفكري والمعرفي، وامتلاك العقيدة الدينية الحقّة .

والأمر الآخر الذي يَجدر الإشارة إليه أنّ مضامين هذه السلسلة لا تمنح القارئ إلاّ " العِلْم" بالحقائق المرتبطة بالعقيدة، والعِلم لا يشكّل كل الأسباب لنيل البصيرة، وإنّما هو جزء من تلك الأسباب، والأهم هو ارتفاع الموانع عن القلب.

وأبرز هذه الموانع هي الآثار التي تتركها الذنوب والمعاصي على القلب بمختلف الأشكال المعبر عنها بالزيغ والرين والأدران، والسبيل لإزالة هذه الأدران والشوائب هو تهذيب النفس في الواقع العملي وكبح جماحها أمام مغريات الحياة.

نَسأل الله أن يوفقنا للعِلْم والعمل، فلا فائدة من عمل دون عِلم، ولا عِلم دون عمل.

وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾

سورة يوسف: الآية ٥٣

حلقات " عقيدتي "

دروس في العقيدة الإسلامية

على ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام

الحلقة الأولى

فكرة عامة حول العقيدة الإسلامية (مختصرة ومبسطة)

(معرفة الخالق - النبوة - الإمامة – المعاد)

الحلقة الثانية

(معرفة الخالق سبحانه وتعالى)

الحلقة الثالثة

(النبوة)

الحلقة الرابعة

(الإمامة)

الحلقة الخامسة

(فاطمة الزهراء عليها السلام)

الحلقة السادسة

(الإمام المهدي عليه السلام – الجزء الأول)

الحلقة السابعة

(الإمام المهدي عليه السلام – الجزء الثاني)

الحلقة الثامنة

معرفة الخالق سبحانه وتعالى

(إثبات وجوده وصفاته)

الحلقة التاسعة

توحيد الخالق سبحانه وتعالى

(توحيد الذات وتوحيد الصفات وتوحيد الأفعال)

الحلقة العاشرة

توحيد الخالق سبحانه وتعالى

(التوحيد في العبادة)

عقيدتي

الحلقة الثانية

دروس في العقيدة الإسلامية

على ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام

(معرفة الخالق سبحانه وتعالى)

الأهداف العامة

إنْ شاء الله في نهاية هذه الحلقة تكون قادرا على أن:

- ❑ تعدد المشتركات العقائدية لجميع الأديان السماوية.
- ❑ تستنتج دوافع البحث عن الدين ومعرفة الخَالق.
- ❑ تُميز بين التقليد في أصول الدين وفروعه.
- ❑ تُثبت وجود خالق لهذا العَالَم من خلال الدليل الفطري.
- ❑ تُثبت وجود خالق لهذا العَالَم من خلال الدليل العقلي.
- ❑ تُفرّق بين صفات الله الثبوتية وصفاته السلبية.
- ❑ تعدّد المعاني المختلفة للعدل الإلهي .

الد رس الأول

الدرس الأول

مفهوم الدِين

كلمة الدِين في اللّغة (العربية)

- **تأتي بمعنى الطّاعة كما في قوله تعالى:**

﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاء أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاء أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاء اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّشَاء وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ سورة يوسف، الآية: ٧٦.

- **وتأتي بمعنى الجزاء كما في قوله تعالى:﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ سورة الفاتحة، الآية: ٤.**

" يوم الدين ": يوم الجزاء وهو يوم القيامة

وقوله: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ سورة الماعون، الآية:١. أي يوم الجزاء .

كلمة الدِين في الاصطلاح (في علم العقيدة)

الدِّينُ

هو الإيمان بخالق الكون، وبالأحكام والوظائف العمليّة الملائمة لهذا الإيمان.

الدِّين يتكون من ركنين:

١ـ **العقيدة** الّتي تمثّل الأساس والقاعدة بالنّسبة للدّين، وتُسمّى: (أصولُ الدِين).

٢ـ **التّعاليم والأحكام العمليّة** المنبثقة من الأُسس العقائديّة، وتُسمّى: (فروعُ الدِين).

الدِّين

مجموعة معارف اعتقادية، يُعَبَّر عنها **بالأصول**.
وأخرى عملية وأخلاقية، يُعَبَّر عنها **بالفروع**.

الدِّين قد لازَمَ وجود الإنسان على الأرض، فكان الإنسان الأوّل وهو آدم عليه السلام نبيّاً وداعياً للتّوحيد، وأمّا سبب ظهور الشِّرك وتطرّق البدع إلى الأديان فهو ناتج عن:

- **الجهل.**
- **اتّباع الأهواء.**
- **التقليد الأعمى.**

تشترك الأديان السماوية في ثلاثة أصول:

١- الإيمان بالله الواحد الأحد. (التوحيد).

٢- الإيمان ببعثة الأنبياء والرّسل، المبعوثين من الله تعالى لهداية البشريّة إلى مصدر سعادتها في الدّنيا والآخرة. (النبوة).

٣- الإيمان بالبعث في عالم الآخرة، ونيل الجزاء على أعمالنا التي عملناها في هذه الدنيا (المعاد يوم القيامة).

وهذه الأصول الثلاثة تمثّل إجابات حاسمة عن الأسئلة الرّئيسة الّتي يواجهها كلّ إنسان في صميم ذاته وفطرته:

- من هو خَالق هذا العَالَم، وما هي صفاته ؟
- ما هو السّبيل لمعرفة النّظام الأفضل للحياة ؟
- ما هي نهاية الحياة ومصير البشر؟

وعليه يُعتبر الإيمان بوجود الله الواحد "الأصل الأوّل" من أصول الدّين الإسلاميّ، والإيمان بنبوّة نبيّنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم " الأصل الثّاني "، والإيمان بالمعاد والحياة بعد الموت " الأصل الثّالث ".

- العدل الإلهي هو من ضمن صفات الخالق سبحانه وتعالى .
- الإمامة امتداد لخط النبوة والرسالة.

(الله سبحانه وتعالى كما يُعين ويَختار أنبياء ورُسل، أيضاً يَختار ويُعين أئمة هداة ومرشدين وقدوة، فكان الأئمة من أهل البيت عليهم السلام امتداداً لخط النبوة والرسالة).

للبحث و المناقشة

ما الفرق بين أصول الدين وفروع الدين ؟

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

الد رس الثاني

الدرس الثاني

التقليد في العقيدة

العقيدة

كلمة عقيدة مشتقة من " عَقَدَ " ، الذي يعني الإحكام والشدّ والربط .

فالعقيدة عبارة عن ذلك الشيء الذي يتصل بذهن الإنسان وروحه وفكره.

فتقبّل الإنسان لأية نظرية حقا أم باطلا ؛ يعني شد تلك النظرية إلى الذهن وربطها به وإحكام صلتها فيه .

التقليد

التقليد عبارة عن تقبل رأي الآخرين، دون المطالبة بالدليل والبرهان.

إن عقائد الإنسان وتصديقاته هي الأساس لجميع توجهاته في الحياة، فالعقيدة الصحيحة تؤدي إلى حياة سعيدة، بينما العقيدة الفاسدة تؤدي إلى الضياع .

ولمّا كانت عقائد الإنسان هي التي تحدّد اتجاه أعماله؛ فقد اهتم الدين الإسلامي بتصحيح العقيدة أكثر من أي شيء آخر.

التقليد في العقيدة

- العقل لا يجيز مطلقا وبصورة قطعية أن يبني الإنسان كل نشاطاته الفردية والاجتماعية على **أساس عقيدة** لا يعرف هو شخصياً صحتها من سقمها أو مدى مطابقتها للواقع.

- ولأنّ **أصول الدين** هي الأسس التحتية لفكر الإنسان وسلوكه ، فلابدّ للإنسان أن يستند في تأسيس هذه الأسس إلى الوعي والدليل والبرهان؛ حتى تتكون لديه القناعة بأصول الدين والعقيدة ويحصل له الإيمان بها، **ولا يجوز له التقليد فيها**، إذ التقليد في أصول العقيدة يكون بمعنى الانقياد الأعمى ويعتبر من التقليد المذموم الذي لا يستند إلى الوعي، وهو مرفوض عقلاً وشرعاً.

- كما أنّ التقليد في الاعتقادات يعتبر تعطيلاً لدور العقل، ولا يجوز للإنسان إهمال نفسه في الأمور الاعتقادية كما لا يجوز له الاعتماد فيها على الآخرين مهما كانت مكانتهم العلمية ومنزلتهم الاجتماعية، بل يجب عليه بحكم **الفطرة** و**العقل** **المؤيدان بالنصوص القرآنية** أن ينظر بنفسه ويتأمل ويتفحص الأدلة والبراهين، ويتدبر في أصول اعتقاداته التي تُسمى **بـ: "أصول الدين"** .

- إنّ صلابة شخصية الإنسان واستقامته تكون بقدر صلابة واستقامة عقيدته في أصول اعتقاداته، كما إن العكس صحيح أيضا، فالإنسان الذي تكون قناعاته في أصول الدين والعقيدة ضعيفة وغير قائمة على

أسس يقينية وثابتة؛ تكون بالطبع شخصيته ضعيفة ومهزوزة تتلاعب بها التيارات الفكرية والعقائدية كتلاعب الرياح بأوراق الشجر.

- إن بناء الإنسان أصول اعتقاداته على اليقين والوضوح هو الذي يؤمّن للإنسان المؤمن الثبات الفكري في مواجهة التيارات الفكرية المختلفة، ويحصنه في مقابل الاختراقات الثقافية الفكرية .

التقليد في العقائد من وجهة نظر القرآن الكريم والسنة الشريفة

التقليد في العقائد من وجهة نظر القرآن الكريم:

قال تعالى :

- **(وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً)** الإسراء ٣٦ .
- **(إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ)** الأنفال ٢٢
- **(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ)** المائدة ١٠٤

التقليد في العقائد من وجهة نظر الحديث الشريف:

- **رُوي عن رسول الله (ص) أنّه قال :**

" لا تكونوا إمعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤوا أن لا تظلموا "

- **قال الإمام الكاظم (ع) :**

(أبلغ خيرا وقل خيرا ولا تكن إمعة)

وعندما سئل عليه السلام عن معنى " إمعة "

قال:

(لا تقل أنا مع الناس وأنا كواحد من الناس)

" إمعة "

كل من لا يتمتع بالاستقلال الفكري ولا يرى لنفسه حق التفكير والإدلاء برأيه.

- **قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع):**

النَّاسُ ثلاثةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، ومُتَعَلمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ، وَهَمَجٌ رَعَاعٌ، أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَلْجَؤوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ . (نهج البلاغة)

هَمَجٌ رَعَاعٌ

همج رعاع: الْحَمْقَى من الناس الذين لاَ نِظَامَ لَهُمْ في الحياة.

ورَعاعُ الناس: سُقّاطُهم وسَفِلَتُهم.

- **التَعَلُّم غير التقليد:** لا يعني عدم جواز تقليد الغير في الأمور العقائدية، ووجوب التثبت والبحث، عدم جواز التَعَلُّم من العلماء والأخذ عنهم - بالدليل والبرهان والاقناع - ما يساعدنا في التفكر للوصول إلى الحقيقة .

  فالتَعَلُّم وسيلة من وسائل البحث ولا يلغي دور العقل في التأكد من صحة ما تعلمناه أو بطلانه.

- ليس المقصود من تحصيل القناعة واليقين بأصول الدين ضبط الاستدلالات العلمية المعقدة الرامية إلى تنظيم الأفكار المتعلقة بأصول الدين بصورة تفصيلية، فإنّ ذلك خارج عن طاقة معظم الناس.

  وإنّما المقصود من ذلك حصول اليقين والوضوح الذي يطمئن إليه قلب الإنسان، وتصدقه الفطرة والعقل .

أهمية مجالسة أهل العلم والتقوى

سورة الزمر (٩)

إنَّ مجالسة أهل العلم والعُلماء والحكمة المختَّصِّين في مختلف العلوم، كرجال الدِّين والفقهاء وعلماء اللّغة والطّب، وغيرهم من العُلماء، يكون لها فضلًا كبيرًا في زيادة الثَّقافة الشَّخصيّة للفرد، وهذا ما أكَّد عليه القرآن الكريم ، وكذلك ما رُوي عن المعصومين عليهم السلام

فمن فضل مجالسة أهل العلم والحلم والحكمة يتنوَّر عقله ويصبح مستنيرًا بما يكتسبه من العلماء من معلومات وأفكار وغيرها، والتَّخلّص من جهله لبعض الأمور التي تكون معلوماته فيها غير كافية.

قال أمير المؤمنين الإمام عَلِيّ بن أبي طالب (عليه السلام):

(جالس الحكماء، يكمل عقلك، وتشرف نفسك، وينتف عنك جهلك).

وقال الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام):

لا تجلسوا عند كل عالم إلا عالم يدعوكم من الخمس إلى الخمس:

(من الشك إلى اليقين، ومن الكبر إلى التواضع، ومن الرياء إلى الاخلاص، ومن العداوة إلى النصيحة، ومن الرغبة إلى الزهد).

التقليد في فروع الدين

التقليد في المُصطلح الديني هو الرجوع إلى **أهل الاختصاص** (**وهو الفقيه، التقي الورع**)، والاعتماد على ما توصّل إليه في رأيه العلمي (في فروع الدين) .

وسُمي " تقليداً " لأن المقلِد يجعل ما يلتزم به من قول الغير قِلادةً في عنق من قلّده. (طبعاً مع مراعاة الشروط الواجب توفرها في الفقيه المرجع).

التقليد في الأحكام الشرعية (فروع الدين) هو:
الرجوع إلى فتوى الفقيه الجامع للشرائط، والعمل برأيه في جميع مسائل الأحكام التكليفية الخمسة.

الواجب	• الأمر الذي يجب علينا أن نفعله .
الحرام	• الأمر الذي لا يجوز لنا أن نفعله.
المستحب	• الأمر الذي إنْ فعلناه نحصل على الثواب، وإذا تركناه لا نُعاقب.
المكروه	• الأمر الذي إذا تركناه نحصل على الثواب، وإذا فعلناه لا نُعاقب.
المُباح	• هو الأمر الذي ليس واجباً، ولا حراماً، ولا مستحباً، ولا مكروهاً .

- الفقهاء لا يُشرعون الأحكام من عندهم، وإنّما يَسْتَخرجون الأحكام من المصادر الشرعية.

(التي أساسها القرآن الكريم، وسُنَّة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة المعصومين عليهم السلام).

- ولكن علينا أن نراعي الشروط الواجب توافرها في هؤلاء الفقهاء، والتي من أهمها:

✓ أن يكون فقيهاً، أي له القدرة العلمية لاستخراج الأحكام الشرعية من مصادرها.

✓ أن يتصف بالعدالة والتقوى.

- وتتحصل لنا المعرفة بهؤلاء الفقهاء عن طريق الرجوع إلى أصحاب الخبرة من أهل العِلْم الموثوقين.

من هم أصحاب الخبرة ؟

آية الله السيد علي السيستاني (حفظه الله) يُجيب:

السؤال : ما هو المناط في أهل الخبرة لتشخيص الاجتهاد أو الأعلميّة؟

الجواب : أهل الخبرة لتشخيص الاجتهاد **هم المجتهدون أو من يدانيهم في العلم والفضيلة.**

وأمّا أهل الخبرة لتشخيص الأعلم فيشترط فيهم ـ بالإضافة إلى ذلك ـ الاطّلاع ـ ولو إجمالاً ـ على مستويات من هم في أطراف شبهة الأعلميّة في الجوانب الثلاثة المذكورة في تعليقة العروة رقم ١٨ الجزء الأوّل، ولا بدّ للمكلّف من إحراز كون الشاهد من أهل الخبرة ليتسنّى له الاعتماد على قوله.

٢ السؤال : هل يمكن لغير العالم الديني أن يشخّص المجتهد أو المرجع الأعلم فيكون هو من أهل الخبرة في مسألة الاجتهاد والأعلميّة؟

الجواب :**لا يمكنه تشخيص المجتهد أو الأعلم ولكن يمكنه أن يسأل أهل الخبرة في ذلك، وفي مثل ذلك إذا اطمأنّ الإنسان بتشخيصه لأهل الخبرة الذين يسألهم حول الموضوع جاز له الاعتماد على شهادة من يثق به منهم.**

الموقع الرسمي لآية الله السيد علي السيستاني – الاستفتاءات (الاجتهاد)
/https://www.sistani.org

تنويه

في الحلقة: السابعة (الدرس الخامس)
لنا عودة مرة أخرى للحديث حول التقليد في فروع الدين، بشيء من التفصيل.

للمطالعة

أرسل الله الأنبياء والرُسل ليُثِيرُوا للناس دَفَائِنَ الْعُقُولِ

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ (أي من ولد آدم عليه السلام) أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَعَلَى تَبْلِيْغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ، لَـمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللهِ إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ، واتَّخَذُوا الأَنْدَادَ مَعَهُ، وَاجْتَالَتْهُمُ (١) الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَاقتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ، فَبَعَثَ فِيْهِمْ رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِياءَهُ، لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ (٢)، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَـهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ (٣)، وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْـمَقْدِرَةِ: مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ، وَآجَالٍ تُفْنِيهِمْ، وَأَوْصَابٍ (٤) تُهْرِمُهُمْ، وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ.

وَلَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّةٍ لاَزِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ؛ رُسُلٌ لا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَلا كَثْرَةُ

المُكَذِّبِينَ لَـهُمْ، مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ غَابِرٍ (٤) عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ. عَلَى ذَلِكَ نُسِلَتِ القُرُونُ، وَمَضَتِ الدُّهُورُ، وَسَلَفَتِ الآباءُ، وَخَلَفَتِ الأبْنَاءُ.

إِلَى أَنْ بَعَثَ اللهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّداً صلّى الله عليه وآله لإِنْجَازِ عِدَتِهِ وَتَمامِ نُبُوَّتِهِ، مَأْخُوذاً عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ، مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ، كَرِيماً مِيلادُهُ. وَأَهْلُ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ، وَطَرَائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ، بَيْنَ مُشَبِّهٍ للهِ بِخَلْقِهِ، أَوْ مُلْحِدٍ في اسْمِـهِ ، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ ، فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلاَلَـةِ ، وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكانِهِ مِنَ الْـجَهَالَـةِ.

(نهج البلاغة – الخطبة الأولى)

(١) اجتالتهم: أدارتهم، أو عدلت بهم، أو اعترتهم.

صرفتهم عن قصدهم الذي وجهوا إليه بالهداية المغروزة في فطرهم.

وأصله من الدوران كأن الذي يصرفك عن قصدك يصرفك تارة هكذا وأخرى هكذا.

واتر إليهم أنبياءه: أرسلهم وبين كل نبي ومن بعده فترة لا بمعنى أرسلهم تباعا بعضهم يعقب بعضا.

(٢) ليستأدوهم ميثاق فطرته: أي ليطلبوا منهم أداء ما ألزمهم من الميثاق والعهد.

كأن الله تعالى بما أودع في الإنسان من الغرائز والقوى وبما أقام له من الشواهد وأدلة الهدى قد أخذ عليه ميثاقا بأن يصرف ما أوتي من ذلك فيما خلق له وقد كان يعمل على ذلك الميثاق ولا ينقضه لولا ما اعترضه من وساوس الشهوات فبعث إليه النبيين ليطلبوا من الناس أداء ذلك الميثاق أي ليطالبوهم بما تقتضيه فطرتهم وما ينبغي أن تسوقهم إليه غرائزهم.

(٣) دفائن العقول: أنوار العرفان التي تكشف للإنسان أسرار الكائنات وترتفع به إلى الإيقان بصانع الموجودات، وقد يحجب هذه الأنوار غيوم من الأوهام وحجب من الخيال ؛ فيأتي النبيون لإثارة تلك المعارف الكامنة وإبراز تلك الأسرار الباطنة.

(٤) الأوصاب: الأمراض.

يقول السيد محمد باقر الصدر:

وفي الوقت الذي أوجبت فيه الشريعة التقليد بالمعنى الذي ذكرناه في فروع الدين من الحلال والحرام حرّمته في أُصول الدين، فلم تسمح للمكلف بأن يقلّد في العقائد الدينية الأساسية؛ وذلك لأنّ المطلوب شرعاً في أُصول الدين أن يحصل العلم واليقين للمكلف بربّه ونبيّه ومعاده ودينه وإمامه، ودعت الشريعة كلّ إنسانٍ إلى أن يتحمّل بنفسه مسؤولية عقائده الدينية الأساسية، بدلاً عن أن يقلّد فيها ويحمّل غيره مسؤوليتها.

وقد عنّف القرآن الكريم بأشكالٍ مختلفةٍ أُولئك الذين يبنون عقائدهم الدينية ومواقفهم الأساسية من الدين ـ قبولاً ورفضاً ـ على التقليد للآخرين بدافع الحرص على طريقة الآباء ـ مثلاً ـ والتعصّب لهم، أو بدافع الكسل عن البحث والهروب من تحمّل المسؤولية.

ومن الواضح أنّ العقائد الأساسية في الدين ـ أُصول الدين ـ لمّا كانت محدودةً عدداً من ناحيةٍ، ومنسجمةً مع فطرة الناس عموماً من ناحيةٍ أُخرى على نحوٍ تكون الرؤية المباشرة الواضحة ميسورةً فيها غالباً، وذات أهمّيةٍ قصوىٰ في حياة الإنسان من ناحيةٍ ثالثة كان تكليف الشريعة لكلّ إنسانٍ بأن يبذل جهداً مباشراً في البحث عنها واكتشاف حقائقها أمراً طبيعياً، ولا يواجه غالباً صعوبةً كبيرة، ولا يؤثّر على المجرى العملي لحياة الإنسان؛ ولَئِن واجه أحياناً صعوباتٍ

كذلك فالإنسان جدير ببذل الجهد لتذليل تلك الصعوبات؛ لأنّ عقيدة الإنسان هي أهمّ مافيه.

ومع ذلك فقد لاحظت الشريعة أيضاً اختلاف مستويات الناس الفكرية والثقافية، فلم تكلِّف كلّ إنسانٍ بالنظر والبحث في أُصول الدين إلّا بالقدر الذي يتناسب مع مستواه، ويصل به إلى قناعةٍ كاملةٍ بالحقيقة، تطمئِنّ بها نفسه، ويعمر بها قلبه، ويتحمّل مسؤوليتها المباشرة أمام ربّه.

الفتاوى الواضحة – السيد محمد باقر الصدر – ص ١٠٣ – ١٠٤
(مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر – الطبعة الأولى)

الد رس الثالث

الدرس الثالث

دوافع البحث عن الدِّين

إنّ التدين ومعرفة خاق الكون (الله) هو من أعظم العلوم شرفاً وأكثرها قيمة، بل إن التكامل الحقيقي للإنسان لا يتيسر من دون المعرفة الإلهية؛ لأن الكمال الحقيقي للإنسان يتحقق في ظل القرب من الله تعالى، ومِنْ البديهي أنّه لا يمكن القرب من الله تعالى من دون معرفته.

إنّ الدوافع الفطرية في الإنسان تدعو بوضوح للبحث عن الدين، وتتجلّى هذه الدوافع بعدّة أشكال، ومن أهمها:

الدافع الأوّل: غريزةُ حبِّ الاستطلاع

من الخصائص النفسية للإنسان، وجود الدافع الفطريّ والغريزيّ لديه لمعرفة الحقائق، والاطلاع على الواقعيات، وهو المعبّر عنه "بحبّ الاستطلاع" الذي يدفع الإنسان إلى التفكير والتأمل وطرح التساؤلات في محاولة البحث عن الحقائق بما فيها الدين الحقّ.

ومن هذه التساؤلات:

- هل هناك وجود لموجود غير محسوس وغير ماديّ؟
- وإذا كان له وجود فهل هناك علاقة بين عالم الغيب والعالم الماديِّ المحسوس؟
- وإذا كانت هناك علاقة، فهل هناك موجود غير محسوس خالق للعالم المادي؟
- هل ينحصر وجود الإنسان بهذا البدن المادي؟
- وهل تتحدّد حياته بهذه الحياة الدنيوية؟ أم هناك حياة أخرى؟
- وإذا كانت هناك حياة أخرى، فهل هناك علاقة وارتباط بين الحياة الدنيا والحياة الاخرة؟
- وإذا وجدت العلاقة، فما هي الظواهر الدنيوية التي لها تأثير في الأمور الأخروية؟
- وما هو السبيل لمعرفة النظام الأكمل للحياة؛ النظام الذي يكفل سعادة الإنسان في الدنيا والاخرة ؟ وما هي طبيعة هذا النظام ؟

إذن غريزة حبّ الاستطلاع تمثّل الدافع الأوّل الذي يدفع الإنسان للبحث عن إجابات لهذه الأسئلة وغيرها من المسائل الدينية، ومعرفة الدين الحقّ.

الدافع الثاني: غريزة البحث عن المنفعة والأمن من الضرر

حين يعلم الإنسان بوجود أفراد على امتداد التاريخ ادّعوا بأنهم مبعوثون من قِبل خالق الكون لهداية البشر لما فيه سعادتهم في الدنيا والاخرة، وكان هؤلاء أصدق الناس وأعقلهم، وقد بذلوا أقصى جهودهم في سبيل إبلاغ رسالاتهم، وهداية البشرية، وتحمّلوا كل ألوان المتاعب والتحدّيات، بل ضحّوا بأرواحهم في سبيل هذا الهدف.

الإنسان وبتأثير من الدافع الفطري فيه الذي يدعوه لجلب المنفعة ودفع الضرر، يتحرّك للبحث عن الدين ليرى مدى صحة دعوى الأنبياء، وهل يمتلكون الأدلة المنطقية الكافية على صحّة دعاواهم، وخاصّة حين يعلم بأنّ دعوتهم ورسالتهم تتضمّن البشرى بالسعادة والنعمة الخالدة، والإنذار بالشقاء والعذاب الأبدي، أي أنَّ الإيمان بدعوتهم يتضمّن المنافع، وأن عصيانهم تتعقّبه الأضرار والأخطار فلا يبقى أي مبرّر لنا في عدم الاهتمام بالدين، وفي اتّخاذ موقف اللامبالاة والتغافل عن محاولة البحث عن الدين.

ولهذا اعتبر القران الكريم أمثال هؤلاء الغافلين غير المبالين أضلّ من الأنعام ، **قال تعالى:**

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ **الأعراف: ١٧٩**

وفي آية أخرى يقول :

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾. الأنفال: ٢٢

الدافع الثالث: لزومُ شكرِ المُنْعِم

وهذا الدافع هو من الدوافع العقلية الفطرية، وهو أنّ النعم التي تواكب الحياة الإنسانية والتي لا يسع أحد إنكارها هي من الكثرة بحيث لا تبلغ حدّ الإحصاء، ومن جانب اخر فإن العقل الفطري يحكم بلزوم شكر المنعم على نعمه .

ولا يتحققُ شكر المنعم الحقيقيّ (وهو الله تعالى) إلا بمعرفته، ولا تتحقق المعرفة إلا بالبحث عنه والاستدلال على وجوده تعالى، ومعرفة صفاته.

الدافع الرابع: فطريةُ الشعورِ الديني نفسِهِ

إن بعض علماء النفس واستناداً إلى شواهد التاريخ وعلم الاثار يقرّون بأن لعبادة الله والتديّن دافعاً فطرياً مستقلاً في الإنسان مصدره الشعور الديني، ويعتبرون حسّ التديّن هذا بعداً آخر للروح الإنسانية .

ومن هنا يرون أن التديّن وعبادة خالق الكون (الله) ظاهرة ثابتة بشكل من الأشكال في كلِّ الأجيال البشرية على امتداد التاريخ، وهذا الثبات الدائم لهذه الظاهرة دليل على فطريتها.

كان حديثنا فيما سبق بأنّ هناك دوافع فطرية وعقلية تدفعنا للبحث عن الخالق وصفاته، ولكن حديثنا – هنا - عن فطرية التدين ، أي الإنسان بطبعه يميل إلى التدين ، وحتى إذا غفل عنه لأسباب عارضة سرعان ما يعود إليه في وقت الشدائد والمحن.

ولهذا نجدُ أنّ كلَّ الحضارات والمجتمعات لديها دين أو أديان ، وطقوس للعبادة، نعم قد تكون صحيحة وقد لا تكون صحيحة ، ولكن ـ هنا ـ نريد إثبات أنّ أصل البحث عن الخَالق وعبادته والتوجه إليه والاستعانة به من الأمور الفطرية في الإنسان على مرّ العصور والأجيال .

ما كشفه ويكتشفه علماء الآثار وبشكل مستمر من دُور العبادة بأشكالها المختلفة، وفي كل الحضارات السابقة؛ لهو دليل على صحة ما ذكرناه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾

آل عمران: ٩٦-٩٧

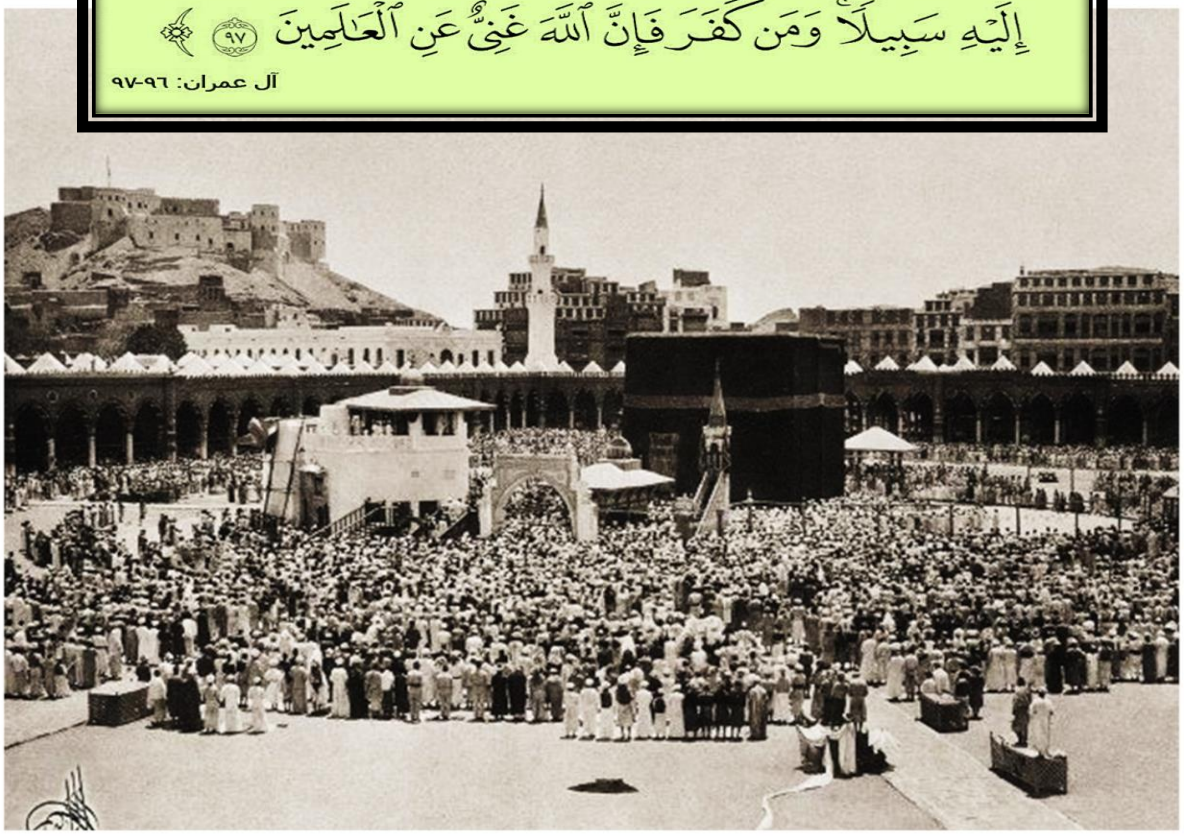

اكتب خلاصة لما جاء في هذا الدرس

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

الد رس الرابع

الدرس الرابع

معرفة الخالق سبحانه وتعالى

معرفة الله سبحانه وتعالى أصل العقيدة الإسلامية

إثبات وجود الخالق وتوحيده، هو الأصل الأول والرئيس في الدين الإسلامي ، بل في جميع الديانات السماوية ، وهو أساس معرفة الله، وأول خطوة في طريق عبادته، وهو الهدف الأول في دعوة الأنبياء عليهم السلام.

- **قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام):**

" ... أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ ، وكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ ، وكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ ، وكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ ... " نهج البلاغة

- **قال الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السَّلام):" أول عبادة الله معرفته، وأصل معرفة الله جل اسمه توحيده ... "**

سيكون حديثنا حول **معرفة الخالق سبحانه وتعالى** في ثلاثة أمور:

١ـ إثبات وجوده.

٢ـ صفاته.

٣ـ توحيده.

أولا: اثبات وجود الخالق سبحانه وتعالى

١ - دليل الفطرة

المقصود بالفطرة

هي مجموعة من الصفات والقابليات التي تُخلق مع الإنسان من ولادته، ويتّصف بها في أصل خلقته سواء القابليات البدنية، أم النفسية، أم العقليّة.

كيف نميّز بين الأمر الفطري وغير الفطري ؟

علامات الأمور الفطرية

١. **تتصف بالشمولية والعمومية** فليس هناك أحد من أبناء البشر من يفقدها أو يخلو منها.

٢. **لا تحتاج إلى تعليمِ مُعلِّمٍ**، وإن كان نموها ورشدها يحتاجان إلى ذلك.

٣. **لا تلغيها العوامل المختلفة** (الجغرافية والسياسية والاقتصادية ... الخ).

تأثير هذه العوامل يمكن أن تحدّ من نموّها، ولكنَّها لا تتمكن من استئصالها والقضاء عليها بالمرة؛ ولهذا نجدها تعود للظهور والبروز عندما تزول تلك العوامل، كما أنّها تكون أكثر ظهوراً وبروزاً وقت الشدائد عندما لا يجد الانسان له ملجأ إلَّا الله.

المقصود من قولنا: " الدين فطري " هو:

أنّ الاندفاع إلى معرفة الخالق وعبادته، والخضوع أمامه، أمر له جذور عميقة في فطرة الإنسان، وكل إنسان بفطرته يحب التعلق والتقرب إلى الكامل المطلق .

أمّا العبادات الممزوجة بالشرك والخرافات؛ فإنّها قد جاءت نتيجة الابتعاد عن طريق العقل وخطِّ الأنبياء والرسل الذين ثبت بالدليل القاطع نبوتهم، أو نتيجة للجهل والخطأ في التطبيق.

- وفي حديث عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ سِنانٍ عَنْ أَبي عَبْدِ اللهِ الصادق عليه السلام قال: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: (فِطْرَتَ اللَّـهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا)، ما تِلْكَ الفِطْرَةُ ؟

قالَ: هِيَ الإسلامُ، فَطَرَهُمُ اللهُ حينَ أَخَذَ ميثاقَهُمْ عَلَى التَّوْحيدِ.

الحديث نقلا عن : أصول الكافي – الشيخ الكليني – ج ٢ – ص ١٢
(طبعة : دار الكتب الإسلامية)

هام

إنَّ نداء الفطرة والتعلق بالله سبحانه وتعالى موجود دائماً في وجدان الانسان، ولكنَّهُ يقوى ويشتدّ في الظروف الصعبة وحالات العجز والاحتياج.

وِجْدَانُ الْمَرْءِ هو نَفْسُهُ وَقُوَاهُ البَاطِنِيَّةُ .

الد رس الخامس

معرفة الخالق سبحانه وتعالى

أولا: إثبات وجود الخالق سبحانه وتعالى

٢ - دليل العقل

كان حديثنا في الدرس السابق حول إثبات وجود الخالق من خلال فطرتنا، وشعورنا الداخلي الذي وُجد معنا من ولادتنا، والآن جاء دور الحديث عن الأدلة العقلية.

هناك عدة طرق لمعرفة الله وهذه الأدلة والبراهين مختلفة فيما بينها في جوانب عديدة، فمثلا قد أستفيد في بعضها مع مقدمات حسية تجريبية، بينما يتألف بعضها من المقدمات العقلية البحتة.

فالأدلة على وجوده سبحانه وتعالى مثل " الطرق والجسور " المنصوبة على نهر كبير ليعبر عليها إلى الضفة الأخرى، فبعضها كالجسور الخشبية البسيطة نُصبت على النهر ليتمكن الشخص الخفيف المؤونة من العبور عليها والوصول سريعا إلى غايته ، بينما بعضها كالجسور الصخرية

الطويلة التي تتمتع بقوة أكبر، ولكنها تطيل المسافة، وبعضها كالطرق الحديدية الصعبة المتعرجة والملتوية، التي تمرُّ عبرَ التلال والسهول والأنفاق الكبيرة، التي صُنعت للقطارات الثقيلة.

- **الإنسان الذي يملك ذهنيّةً بسيطة، يمكنه التعرف على خالقه وربِّه من خلال الطرق البسيطة.**
- **أما الذي يحمل في ذهنه الكثير من الأسئلة والشبهات؛ فلا بدّ له أن يسلك الطرق المنصوبة على قواعد وأسس محكمة ومتينة وإنْ وُجدت في الطريق تحديات ومصاعب.**

الطريق السهل والواضح لمعرفة الخالق سبحانه وتعالى

خصائص الطريق السهل لمعرفة الله سبحانه وتعالى:

١. أنّه لا يحتاج إلى مقدمات صعبة ومعقّدة، ويمكن عرضه بأسلوب ميسّر وواضح، ومن هنا يمكن لجميع الناس على اختلاف مستوياتهم الثقافية فهمه واستيعابه.

٢. مهمته ودوره – قبل كل شيء – هو إيقاظ الفطرة، والأخذ بيد **المعرفة الفطرية** إلى عالم الوعي والشعور.

إذن ما هو الطريق السهل والواضح لمعرفة الخالق سبحانه وتعالى؟

التأملُ في آيات الله

هو الطريق السهل والواضح لمعرفة الخالق سبحانه وتعالى

- الطريق السهل لمعرفة الله سبحانه وتعالى، يتمثَّل في **التأمل في آيات الله** وشواهده ودلائله التي يَحْفل بها هذا العَالَم، ويُعبر عنه بـ :

" التفكر في الآيات الإلهية "

- كل واحدة من الظواهر الكونية في الأرض والسماء وفي وجود الإنسان، دليل وآية تَهدي العقل والقلب باتجاه الخالق سبحانه وتعالى.

- **كُلُّ نظام هادف، دليل على مُنظِّمٍ هادفٍ**، ونحن نشاهد هذه الأنظمة الهادفة في أرجاء الكون كلِّهِ، فإنّها جميعا تؤلفُ نظاما شاملا، وتدلُّ على خالقٍ حكيم أوجدَها، وهو دائماً وأبداً يواصل إدارتَها وتدبيرَها.

ومن أجل ذلك فإنّ قادة الدين وروّاد الأديان السماوية (الأنبياء والأئمة عليهم السلام ومن سار على دربهم)، قد اختاروا هذا الدليل لعرضه على الناس؛ لأنّه أسهل الأدلة والملائم للفطرة البشرية.

كما خَصُّوا بعض أتباعهم بأساليب وأدلة أخرى، أو استخدموها في احتجاجاتهم وحواراتهم مع الملحدين المنكرين لوجود خالقٍ لهذا الكون.

ومن البديهي أنه كلما ازداد علم البشر واتسع، واكتشف الإنسان الكثير من القوانين والعلاقات بين الظواهر الطبيعية، تبينت أسرار وحكمة الخالق أكثر، ولكنّ التدبر والتفكير حول هذه الظواهر البسيطة والدلائل الواضحة النيّرة يكفي للقلوب الطاهرة غير الملوّثَة بالشبهات.

جاء في نهج البلاغة ضمن الخطبة الأولى لأمير المؤمنين عليه السلام:

«وَ اصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ فَجَهِلُوا حَقَّهُ وَاتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ وَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ: مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ وَآجَالٍ تُفْنِيهِمْ وَأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُخْلِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ. رُسُلٌ لَا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ وَلَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ. عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ وَمَضَتِ الدُّهُورُ وَسَلَفَتِ الْآبَاءُ وَخَلَفَتِ الْأَبْنَاءُ».

«إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّداً رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِإِنْجَازِ عِدَتِهِ وَإِتْمَامِ نُبُوَّتِهِ مَأْخُوذاً عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ، كَرِيماً مِيلَادُهُ، وَأَهْلُ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ وَطَرَائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ، بَيْنَ مُشَبِّهٍ لِلَّهِ بِخَلْقِهِ أَوْ مُلْحِدٍ فِي اسْمِهِ أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ لِقَاءَهُ وَرَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ، وَأَكْرَمَهُ عَنْ دَارِ الدُّنْيَا وَرَغِبَ بِهِ عَنْ مَقَامِ الْبَلْوَى فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيماً ﷺ وَخَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَّفَتِ الْأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلاً بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ وَلَا عَلَمٍ قَائِمٍ».

واصطفى سبحانه من ولده أنبياء: المقصود من وُلد " آدم عليه السلام "

للاطلاع على الخطبة كاملة وشرحها راجع:
نفحات الولاية – آية الله ناصر مكارم الشيرازي – الجزء الأول

كما يمكننا إثباتُ وجود الخالق سبحانه وتعالى بطرق عقلية أخرى، منها:

حَاجة الخَلْق الى مُوْجِد بعد العَدم

- لا شك أنّ فقر الشيء دليل قاطع على احتياجه إلى غنيٍّ قويٍّ يُلبي حاجته، ويمسح عنه الاحتياج والافتقار، فما لم تمتدَّ قدرة غنية إلى ذلك الشيء لم يرتفع فقره.

- فالظواهر الكونية من الذرة إلى المجرة مقرونة (بالفقر الذاتي)، جميعها مسبوقة بالعدم، ولهذا فهي تحتاج في تحقُّقِها ووجودها إلى غنيٍّ يطرد عنها العدم، ويلبسها حُلَّةُ الوجودِ.

- الكون له بداية – بعيداً عن المدة الزمنية – فقولنا: أن الكون بدأ من عشر مليارات سنة أو مئة مليار سنة أو أقل أو أكثر ؛ ففي كل الأحوال هو دليل على أنّ هذا الكون لم يكون موجوداً ثم وُجد، وهذا دليل على أنّ له مُوجد وخَالق.

قال تعالى في القرآن الكريم، في مورد مخاطبته للفطرة والعقل:

إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ
لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾

سورة آل عمران

ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن
تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾

سورة المُلك

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ
وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

سورة الشورى

سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ
لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾

سورة فصلت

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا
مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ
نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ
ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾

الإنسان: ١ - ٣

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ
ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ
ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا
تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ
شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن
مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ
وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾

السجدة: ٤ - ٩

للمطالعة

معنى " الآيـة "

معنى الآية في اللغة :

هي العلامة الدالة على شيء، وآية الله هي العلامة التي تَدُلُّ على الله.

- قال الله تعالى :

﴿ قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ سورة مريم ـ الآية : ٢١

﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴾ سورة يس ـ الآية : ٣٣

- قال الشاعر: وفي كل شيء له آيةٌ تَدُلُّ على أنَّهُ واحـدُ.

في المصطلح الإسلامي :

قد تكون "الآية":

- إحدى مخلوقات الله تدل على عظمة وقدرة الخالق.
- أو معجزة من معاجز الأنبياء.
- أو جملة من ألفاظ سورة قرآنيّة من كتاب الله.

سؤال

ما هو سبب إطلاق لقب آية الله أو آية الله العظمى على بعض العلماء؟

الجواب:

سبب إطلاق لقب " آية الله " على الفقهاء والمراجع لأنّهم يُذَكِّروننا بالله ويرشدوننا إلى اتباع تعاليمه.

ولقد رَوَى الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) عن النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال:

قَالَتِ الْحَوَارِيُّونَ لِعِيسَى: يَا رُوحَ اللَّهِ مَنْ نُجَالِسُ؟ قال:

" مَنْ يُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ رُؤْيَتُهُ، ويَزِيدُ فِي عِلْمِكُمْ مَنْطِقُهُ، ويُرَغِّبُكُمْ فِي الْآخِرَةِ عَمَلُهُ "

الرواية نقلا عن : الكافي – الشيخ الكليني - ج١ (بَابُ مُجَالَسَةِ الْعُلَمَاءِ وَصُحْبَتِهِمْ)

الفقهاء والمراجع - العدول والأتقياء - (حفظهم الله) هم مِنَ الذين يَصدُقُ عليهم هذا الحديث الشريف حيث إنهم يذكروننا بالله ويرغبوننا في طاعته، فهم من آيات الله.

معنى آية الله العظمى؟

أما بالنسبة إلى صفة العظمى التي تُضاف إلى لقب آية الله فهي للتمييز بين المراجع أصحاب الفتوى (الذين تصدوا لمنصب المرجعية)، وغيرهم من العلماء الذين ليست لهم رسالة عملية.

الرسالة العملية: الكتاب الذي يحوي فتاوى مرجع التقليد.

- لابُدَّ أن يُعْلَم أن لقب آية الله إنما هو وسام معنوي يقلده المؤمنون وذوي الخبرة من العلماء كلَّ من وصل إلى مرحلة عالية من العِلْم الديني والفقاهة والتقوى.

- وحملة هذا اللقب أو غيره من الألقاب المعنوية الأخرى لم يطلقوا هذه الألقاب على أنفسهم بل الآخرين هم الذين يطلقونها عليهم تقديراً لجهودهم وتضحياتهم وخدماتهم العلمية؛ وذلك لأنّهم وقفوا جُلَّ عمرهم لخدمة الدين الإسلامي والأمة الإسلامية.

- المراجع - حفظهم الله - لا يذكرون أنفسهم إلا بأسماء مجرده عن العناوين و الألقاب بل يضيفون إليها ألقاباً متواضعة جداً، وتشهد أختامهم وتوقيعاتهم في كتاباتهم على ذلك، ومن تلك الأختام والتوقيعات التي يستخدمونها:

العبد الفقير، الأحقر، أقل طلبة العلم ... الخ .

يقال أنّ العلامة الحلي أول من لقب بآية الله؛ وذلك لفضله وعلمه الكثير.

الحسن بن يوسف بن مُطهّر الحلي (٦٤٨ – ٧٢٦ هـ)

المعروف بالعلامة الحلّي

الفقيه والمتكلم الشيعي في القرن الثامن للهجرة ، من أشهر مؤلفاته:
كشف المراد، ونهج الحق وكشف الصدق، والباب الحادي عشر، وخلاصة الأقوال، والجوهر النضيد.

الد رس السادس

الدرس السادس

معرفة الخالق سبحانه وتعالى

ثانياً: صفاتُ اللهِ سبحانه وتعالى

عندما ننظر إلى الكون وما يحوي من مخلوقات، وندقق النظر، فإننا نصل إلى أمرين:

الأمر الأول: أنّ لهذا الكون خالقاً ومدبراً.

الأمر الثاني: أنّ هذا الخالق قادر، وعالم، وحكيم ... الخ .

أي أننا نثبت وجود خالق لهذا الكون، ونتعرف على صفات الخالق سبحانه وتعالى.

أقسام صفات الله تعالى

تُقسَّم صفات الخالق سبحانه وتعالى إلى :

١ ـ الصفات الثبوتية (الجمالية) أو (الكمالية):

وهي الصفات الثابتة لله تعالى، وهي كلّ وصف يُعدّ كمالاً له سبحانه وتعالى.

(وهذه تُقسم إلى: صفات ذاتية، وصفات فعلية)

٢ ـ الصفات السلبية (الجلالية) أو (التنزيهية):

وهي الصفات التي يجب أن ننفيها ونسلبها عن الله تعالى ؛ لأنّها صفات نقص ولا تليق بالله تعالى.

قال الله تعالى في سورة الرحمن:

- **وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ (الآية ٢٧)**
- **تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ (الآية ٧٨)**

من الصفات الثبوتية لله سبحانه وتعالى:

١. **الحيُّ**: الله هو الخالق لكل شيء، فهو حيٌ لا يموت، لأنّ الميت لا يُعطي الحياة لغيره حيث انّه عَجِزَ أن يُعطيها لنفسه.

٢. **العَالِم**: فالله عالم بكلِّ شيء.

٣. **القادر**: فهو قادر على كلِّ شيء.

٤. **المريدُ**: أي أنه صاحب إرادة وليس مجبوراً في أعماله وكلُّ ما يفعله إنَّما لحكمة ولغاية.

٥. **المُدْرِك**: أي أنَّه يُدْرِك جميع الأشياء، يسمع كلَّ شيء، ويرى كل شيء (دون الحاجة لوسائل السمع والبصر كما هي عند المخلوقات)، وهو العليم الخبير بكلِّ شيء.

٦. **العادل**: الفقير والمحتاج والجاهل هو الذي يقع منه الظلم، والله منزه عن كل ذلك؛ ولذلك من صفات الله أنّه العادل.

من الصفات التي ننفيها عن اللهِ ولا تليقُ بعظمته وجلاله:

١ ـ **ليس جسماً**: لأنَّ للجسم حدوداً ويكون متغيراً وفانياً.

٢ ـ **ليس مرئياً**: فهو لا يُرى، وإلاّ كان جسماً محدوداً وفانياً.

٣ ـ **ليس له مكان**: لأنّه ليس جسماً ليحتاج إلى مكان.

٤ ـ **ليس محتاجاً**: لأنَّ المحتاج هو الذي يحتاج إلى الغير ليسدَّ حاجته، والله هو الغنيُّ بذاته في كل شيء فهو الخالق ، القادر ، العَالِم.

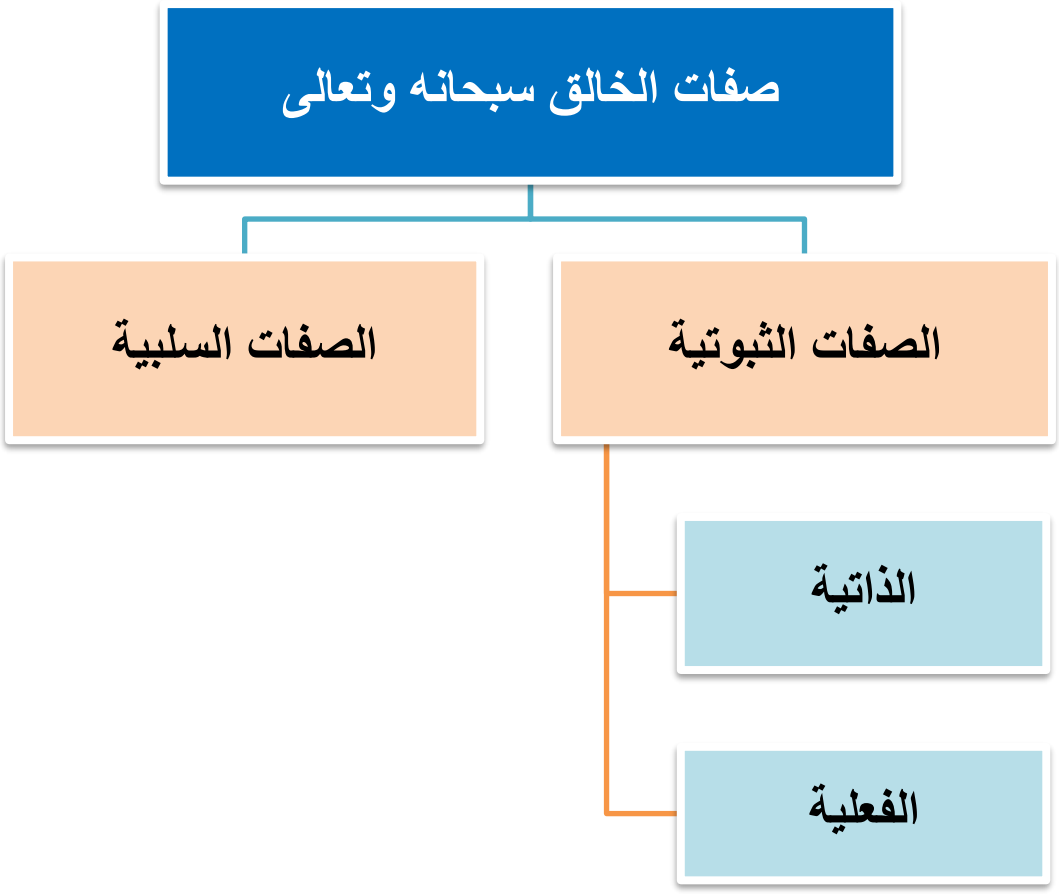

الفرق بين الصفات الثبوتية الذاتية والثبوتية الفعلية

والفارق بين صفات الله الذاتية وصفاته الفعلية أن صفات الله الذاتية هـي التي يستحيل أن يتصف سبحانه بنقيضها أبداً . إذاً فهي التي لا يصح سلبها عنه في حال . ومثال ذلك : العلم والقدرة والحياة ، فالله تبارك وتقدَّس لم يزل ولا يزال عالماً قادراً حيّاً ، ويستحيل أن لا يكون كذلك في حال من الأحوال .

وأن صفاته الفعلية هي التي يمكن أن يتصف بها في حال وبنقيضها في حال آخر . ومثال ذلك : الخلق والرزق ، فيقال : إن الله خلق كذا ولم يخلق كذا ، ورزق فلاناً ولداً ولم يرزقه مالاً . وبهذا يظهر جلياً أن التكلم إنما هو من الصفات الفعلية ، فإنه يقال : كلَّم الله موسى ولم يكلِّم فرعون ، ويقال : كلَّم الله موسى في جبل طور ولم يكلّمه في بحر النيل .

البيان في تفسير القرآن – آية الله السيد أبو القاسم الخوئي – ص ٤٠٨
(طبعة : دار الثقلين – الطبعة السادسة)

تنويه

في الحلقة الثامنة سوف نعود للحديث حول:
" الصفات الثبوتية الذاتية " و " الصفات الثبوتية الفعلية "

للبحث والمناقشة

اكتب تقريراً موجزاً فيما يلي:

١- أدلة أخرى – غير التي ذكرناها – تُثبت وجود خَالق للكون.

٢- الفرق بين الصفات الثبوتية والصفات السلبية.

يُمكنك الاستعانة بالمصادر التالية:

- التوحيد – علاء الحسون.
- بداية المعرفة – السيد حسن مكي العاملي.
- دروس في العقائد الإسلامية – آية الله ناصر مكارم الشيرازي.
- الإلهيات – آية الله جعفر السبحاني (الجزء الأول والثاني).
- دروس في العقيدة الإسلامية – العلامة المصباح اليزدي.

الد رس السابع

الدرس السابع

معرفة الخالق سبحانه وتعالى

ثالثاً: توحيد الخالق سبحانه وتعالى

كان حديثُنَا فيما سبق حول إثبات " وجود خالق لهذا الكون "، وكذلك " صفاته "، ولكنَّ هذا لا يكفي، بل لابدَّ من الاعتقاد بوحدانية هذا الخالق، ومن أقسام وشُعب التوحيد ما يلي :

١ ـ توحيد الذات :

والمقصود من " التوحيد الذاتي " أنّه سبحانه وتعالى واحدٌ لا ثاني له ، فليس له شريك ولا نظير ولا شبيه ولا مثيل.

إذن التوحيد الذاتي: نفي التعدد للذات الالهية، فهو الواحد الأحد، وهذا المعنى يقابل الشرك الصريح، وهو الاعتقاد بإلهين أو آلهة متعددة .

٢- التوحيد في الخالقية :

والمراد منه أنه ليس في الوجود خالق أصيل غير الله، وأنَّ الموجودات وما يتبعها من الأَفعال والآثار، حتى الإنسان وما يصدر منه، مخلوقات لله سبحانه ، غاية الأمر أنَّ ما في الكون مخلوق له إِمَّا بالمباشرة (مثال: خلق آدم عليه السلام) أو بالتسبيب (مثل: خلق الإنسان عن طريق التزاوج والتكاثر)، فهو الذي خلق الأسباب والقوانين الكونية، وهو الذي أعطاها الفاعلية .

٣- التوحيد في الربوبية :

أي تدبير الحياة والكون كلِّه بيد الله سبحانه وأنّ الإنسان وكلَّ ما في هذا الكون لا يملك لنفسه شيئا من التدبير، وأن مصير الإنسان في حياته كلِّها إليه سبحانه .

وإذا كان في الكون أسباب ومدبِّراتٌ له ، فكلها مخلوقات له سبحانه يعملون بأمره ويفعلون بمشيئته وضمن سننه.

٤- التوحيد في التشريع :

ويعني انحصار حق التقنين والتشريع في الله سبحانه ، وعلى هذا الأساس لا توجد في الإسلام أي سلطة تشريعية ولا فردية ولا جماعية، ولا مشرع إلاّ الله وحده .

أما الأنبياء فمهمتهم الأساسية التبليغ عن أحكامه سبحانه وتعالى ، أما الفقهاء والمجتهدون فليسوا بمشرعين بل هم متخصصون في معرفة الشريعة ووظيفتهم الكشف عن الأحكام بعد الرجوع إلى مصادرها وجعلها في متناول الناس .

وإذا كانت هناك مجالس تشريعية لسنِّ القوانين (البرلمانات)؛ فيجبُ أن تكون القوانين التي تصدر عنها تحت ظل ما ثبتَ في الشريعة، ولا تخالفُها.

٥ ـ التوحيد في الطاعة :

ليس هناك من تجب طاعته بالذات إلاّ الله سبحانه وتعالى، فهو وحده الذي يجب أن يُطاع ، وهو وحده الذي يجب أن تُمتثل أوامره، وأما طاعة غيره فتجب بأمره وإذنه، وإلا كانت محرّمة .

وطاعته سبحانه وتعالى تعني : أن نضع ما وهبنا من نعم ـ حتى وجودنا وإرادتنا ـ في الموضع الذي فيه رضاه .

وبذلك نتعرف على المقصود من طاعة الوالدين، وطاعة الحاكم الشرعي العادل، وطاعة أوامر ربِّ العمل، وطاعة المُعَلِم ... الخ ، فكلها يجب أنْ لا تتعارض مع أوامر الله ونهيه.

٦ـ التوحيد في العبادة:

العبادة لا تكون إلا لله، وأنه لا يستحق أحد أن يُتخذ معبوداً مهما بلغ من الكمال وحاز من الشرف .

وذلك لأن الخضوع العبوديَّ أمام أحد لا يجوز إلاّ إذا توافر شرطان:

الشرط الأول: أن يكون هذا المعبود هو الخالق.

الشرط الثاني: أنْ يكون ذلك المعبود بيده مبدأ الإنسان ومنشأ حياته ومدبر شؤونه بحيث لو قطع عنه فيضه وعطاءَهُ لحظة من اللحظات عاد عدماً واستحال خبراً بعد أثر.

وهذان الشرطان لا يتوافران إلاّ في الله سبحانه وتعالى.

أمّا الاستعانة بالأسباب والوسائل التي جعلها الله لعباده ، فهذا ليس من الشرك في شيء ، بل هو عين العبودية لله.

- نستعين بفطرتنا السليمة وعقولنا لمعرفة الحقائق.
- نستعين بالأنبياء والأئمة في هدايتنا ، ومعرفة تكليفنا الشرعي من عبادات ومعاملات.
- نستعين بالأسباب الطبيعية في معاشنا.

كما أنّ التبرك بالأنبياء والأئمة الطاهرين ليس من الشرك، فلقد كان المسلمون يتبركون بالنبي (ص) حتى ببصاقه الشريف.

المشكلة الرئيسية مع من يتهمنا بالشرك :

الفهم الخاطئ لمفهوم ومعنى الشرك

هذا إذا لم يكن الهدف من البعض تشويه سمعة " شيعة أهل البيت "؛ حتى يبعدوهم عن معرفة حقيقة التشيع الذي أساسه التوحيد الخالص.

نعم قد يُخطئ البعض في اتخاذ الوسيلة الصحيحة لبلوغ الهدف، مثل اتخاذ غير الأنبياء والأئمة المعينين من قبل الله في معرفة الأحكام الشرعية.

ولكن هذا لا يلغي أصل جواز، بل وجوب اتخاذ الوسيلة الصحيحة، فالكون كله مبني على الوسائط والوسائل.

حتى القرب من الله يكون بالعبادة من صلاة وصوم وحج ، وهي وسائل تقربنا من الله ، ومن ذلك أيضا الرجوع للأنبياء والأئمة الأطهار عليهم السلام

الأمر المخل بالتوحيد هو الرجوع لغير المؤهلين ، وغير الذين أمرنا الله بطاعتهم .

سوف يكون لنا حديثاً مفصلاً عن التوحيد في العبادة (في الحلقة العاشرة)

٧ـ التوحيد في الشفاعة :

حقُّ الشفاعة لله سبحانه وتعالى ، فمن زعم أن الشفاعة على وجه الملكية التامة بيد المخلوق فهو مشرك .

قال تعالى : " **أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاء قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ * قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** " الزمر – ٤٣ ، ٤٤

وأما القولُ بأنَّ هناك عباداً صالحين تقبل شفاعتهم عند الله في إطار خاصّ وشرائط معينة في الشفيع والمشفوع له بإذن الله سبحانه، فهو لا ينافي اختصاص حقِّ الشفاعة بالله سبحانه ، لأنّ شفاعتهم بإذنه وضمن شروطه.

قال تعالى : " **يَوْمَئِذٍ لّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلا** " طه ـ ١٠٩

قال تعالى : " **وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ** " سبأ ـ ٢٣

٨ـالتوحيد في المغفرة :

المغفرة وحطُّ الذنوب والتكفيرُ عن السيئات حقُّهُ سبحانه وتعالى، أمّا الأنبياء والأولياء فلهم حقُّ الاستغفارِ للمذنبين، كما أن للمذنبين الرجوعَ إليهم والطلب منهم أن يستغفروا لهم، **قال تعالى:**

(**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا**)

النساء : ٦٤ .

وقال تعالى حاكياً عن أبناء يعقوب (ع): **" قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ * قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ "**

يوسف: ٩٧ ـ ٩٨ .

يمكننا أيضاً الحديث حول التوحيد في الرازقية والإحياء والإماتة ... الخ

فهي كلُّها لله وحده، وهذا الأمر بالطبع لا يتعارض مع أنّه خَلق الأسباب وأعطى سبحانه وتعالى تلك الأسباب القدرة والفاعلية، فالأمر من قَبلُ ومِن بَعدُ بيده سبحانه وتعالى .

الد رس الثامن

الدرس الثامن

معرفة الخالق سبحانه وتعالى

العَدل الإلـهي

قلنا في الدرس " السادس " أنّ " العدل " من صفات الله الثبوتية ، وذكرنا هناك فكرة عامة، وإليك في هذا الدرس وفي الدرس الذي يليه بعض التوسع.

أولا: ماذا نقصد بالعدل الإلـهي؟

من العدل الإلـهي:

وضع الأُمور في مواضعها ، فكلُّ المخلوقات تسير ضمن نظام دقيق متقن .

وهذا المعنى هو المهيمن على عالم الخليقة برمّتِهِ، على المنظومات الشمسية، على الذّرة، على بناء كيان الانسان وجميع الحيوان والنبات.

قال تعالى:

- اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٧) سورة الشورى
- وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ (١٩) سورة الحِجر
- وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (٨٨) سورة النمل

من العدل الإلهي:

مراعاة طاقات وقدرات الإنسان في الأحكام والتشريعات.

قال تعالى:

لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦) – سورة البقرة

قال تعالى في سورة البقرة:

شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ
وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ
ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ
مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ
ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا
هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾

من العدل الإلهي:

أنّ الله لا يعاقب إلاّ بعد إقامة الحجة، سواء كانت تلك الحجةُ نبياً مُرْسَلاً أو إماماً معصوماً، أو فطرةً سليمة أوعقلاً أو كل ذلك جميعاً.

قال تعالى:

- **مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا (١٥)** سورة الإسراء
- **رُسُلا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥)** سورة النساء

قال تعالى في سورة الأنعام:

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ
بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟
لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ
كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ
قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا
ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ
فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ
ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ
مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾

من العدل الإلهي:

أنّ الله سبحانه وتعالى لا يساوي بين الظالم والمظلوم، ولا بين المؤمن والكافر، ولا بين المتقي والفاسق .

ولهذا من عدله أنّه يبعث الناس يوم القيامة ليحاسبهم، ويجازي كلّ إنسان حسب اعتقاده وعمله، بل أنّه - في بعض الموارد والأمور - يثيب أو يعاقب في دار الدنيا، وقد يكون له أيضاً عذاب وعقاب في الآخرة.

قال تعالى :

- **هلْ تُجْزَونَ إلاّ ما كُنْتُم تَعْمَلُونَ (٩٠)** سورة النمل
- **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦)** سورة الأعراف
- **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١٤)** سورة البقرة

الخلاصة

- **كل ما سبق هو من العدل الإلهي ، فهو الحكيم العادل .**
- **الله يُحب العدل ولا يُحب الظلم ولا الظالمين.**
- **الله يأمرنا بالعدل والإحسان ، قال تعالى :**

" إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ " (٩٠) سورة النحل

الد رس التاسع

معرفة الخالق سبحانه وتعالى

العَدل الإلـهي

ثانيا: أسباب الظلم

أ ـ الجهل: قد نجد ظالماً لا يدري أنَّه يظلم فعلاً، ولا يعلم أنَّه يدوس بقدمه حقوق الآخرين، إنَّه جاهل بما يفعل.
طبعاً هذا الجهل ليس عذراً له، بل عليه أن يبذل الجهد في معرفة الحق والصواب.

ب الحاجة: قد يطمع المرء فيما يملكه الآخرون، لأنّه محتاج إلى ما عند الآخرين؛ ولولا الحاجة لما كان هناك ما يحمله على الظلم.

ج ـ العجز والضّعف أمام الرغبات والشهوات : يحدث أحياناً أنْ لا يكون المرء راغباً في التقصير بحق الآخرين، ولكنه يتصور أنّه لا قدرة له على الامتناع عن ذلك فيرتكب الظلم، سواء لضعفه أمام رغباته وشهواته، أو هناك أطراف أخرى تفرض عليه أنْ يظلم وهو لا يستطيع مقاومتها.

د ـ الأنانية والحقد والانتقام: يحدث أحياناً أنْ لا تكون الأسباب المذكورة سابقاً هي الدافع للظلم، بل يكون السبب هو الأنانية أو الحقد أو حُبّ الانتقام، فيعتدي على حقوق الآخرين.

هـ ـ وهناك سبباً آخر للظلم، وهو ضعف المظلوم، أو قبوله وخضوعه للظالم، فإنّ ذلك يشجع ويُغري الظالم للتمادي في ظلمه.

من اللافت للنظر أنَّ الاسلام كما يرى الظلم عملاً قبيحاً، فكذلك تَقَبُّل الظلم والخضوع له عمل مرفوض أيضاً، إنّ الاستسلام للظالمين يعني القبول بالظلم ونشره وإعانة الظالم عليه.

قال في سورة النحل:

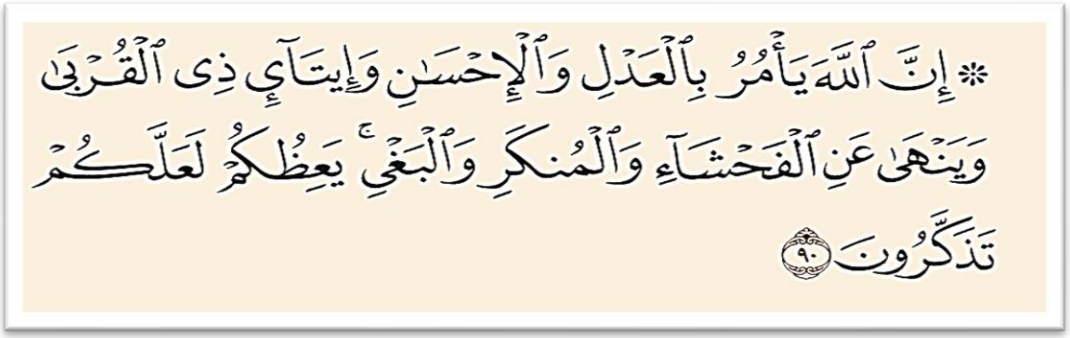

وقال تعالى في سورة هُود:

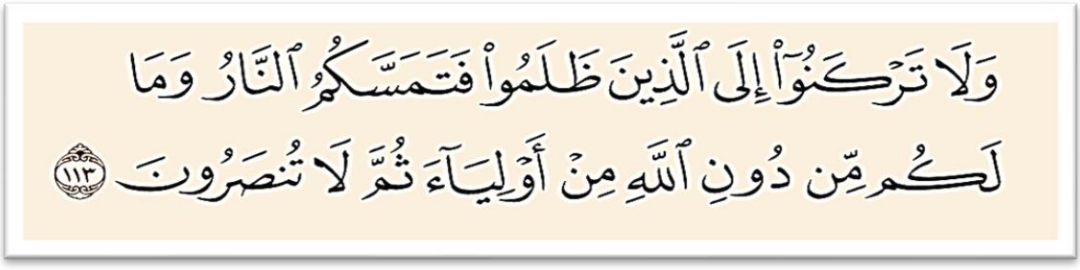

وبتلك الأمور يمكننا أنْ نتعرف على أسباب الظلم المنتشر بين الناس، والحروب الطاحنة، وسلب حقوق الآخرين.

نستنتج

هذه الصفات القبيحة والنقائص وما ذكرناه من أسباب الظلم، لا وجود لها في ذات الله المقدّسة، لأنّه:

- **عالمٌ بكلِّ شيءٍ.**
- **غنيٌّ عن كلِّ شيءٍ.**
- **قادرٌ على كلِّ شيءٍ.**
- **رحيمٌ ورؤوفٌ بالعَالَمين.**

نستنتج من كل ذلك:

- **الله سبحانَه وتعالى ليس بحاجة للظلم، فهو العادلُ.**
- **الله حكيم، ولا يصدرُ عنهُ سوى الخير والعدل، والرأفة والرحمة.**

قال الله تعالى في سورة النحل:

وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُۖ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١١٨

وقال سبحانه وتعالى في سورة الفُرقان:

إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٠

ثالثاً: لماذا اهتم علماء العقيدة بمسألة العدل الإلهي؟

ذكرنا فيما سبق أن " العَدل " صفة من صفات الله الثبوتية ؛ فلماذا يتمُّ الاهتمام والتركيز على هذه الصفة؟
ولماذا تَطَرَّقَ اليها العلماءُ بشكل موسَّع وبصورة تفصيلية ؟

إنّ ذلك يعود إلى عدةِ أسبابٍ ، ومنها ما يلي :

١. إن صفة " العدل الإلهي " هي الصفة الإلهية التي وقع النزاع فيها، واختلف المسلمون حول معناها، وأثارت جدلاً طويلاً بينهم.

٢. ضبط النفس مقابل الذنوب ؛ لأنّ الإنسان حينما يشعر أن قوله وعمله تحت رقابة الله سبحانه وتعالى وإن مثقال ذرة من عمله لا تخفى عليه وإنّه سيرى جزاءه أكان خيراً أم شراً ، فلن يرى نفسه في هذا العالم تائها بلا ضابط وقيد ؛ لأنّ الله عادل لا يساوي بين الكافر والمؤمن، ولا بين الظالم والمظلوم .

٣. إن فريقاً من أعداء الإسلام - ومنهم حُكام الجور - حاولوا بشتى الوسائل أن يلزموا العقيدة الإسلامية بفكرة الجبر، أي أن الإنسان مجبور على أفعاله ولا إرادة له فكل الأمور من الله ، والإنسان وسيلة لتنفيذ تلك الأمور بشكل قهري واجباري.

ويهدفون من وراء ذلك:

- أشاعوا هذه الأفكار بين المسلمين من اجل أن يخدروهم ويشلوا إرادتهم في تطوير حياتهم.

- أرادوا أن يخمدوا نار الرفض ضد الظالمين ومخططاتهم، فتخرج فتاوى " فقهاء السلاطين والظلمة " بعدم جواز معارضة حكام الجور؛ لأنّ الله أراد ذلك وقضى أنْ يُظلموا ويُقتلوا ويُسلبوا من قبل سلاطين الجور (هذا طبعاً حسب زعمهم).

(راجع: للمطالعة)

كل الفرق الإسلامية تقول بأنّ الله عادل

ولكنَّ فهم وتعريف البعض لمفهوم "العدل الإلهي" يؤدي بالضرورة إلى أن الإنسان مُجبر على أفعاله.

وإذا خلصت مقاصدهم فإنّ ذلك راجعاً في الأساس لجهلهم بالعقيدة الإسلامية، وابتعادهم عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

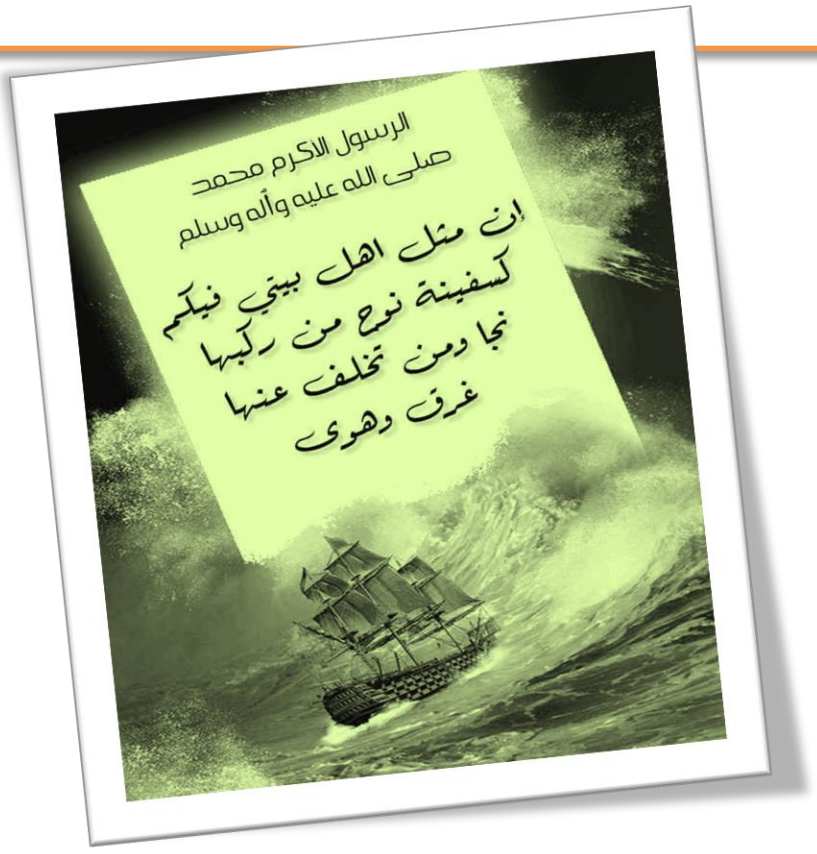

للمطالعة

وأما التقسيم القديم لأصول الدين ، الذي يُعَنْوِن التوحيد والعدل كأساسين مستقلين إضافةً إلى النبوة والإمامة والمعاد ، فهو أقرب إلى التقسيم الثقافي والتوجيهي ، منه إلى التقسيم المنهجي لمباحث علم الكلام ، لأن التوحيد هو فرع من الصفات السلبية ، والعدل فرعٌ من الصفات الفعليّة ـ أعني ـ الحكمة .

وإنما ركّز القدماء على العدل كأصل من أُصول الدين ، لِما ساد القرونَ الأولى من نزاع بين الأشاعرة والمعتزلة حول قبح صدور القبائح منه تعالى وعدمه ، حيث قالت المعتزلة بالأول ، والأشاعرة بالثاني . فالتجأ المعتزلة إلى التركيز على العدل بجعله من أصول الدين ، لما له من أهمية قصوى في إثبات جملة من مسائل الأُصول الحسّاسة .

والآن حيث زالت تلك المغمعة والحميّة الكلامية ، صار واجباً إدراج كل مطلب في بابه ، حتى تتّضح الصورة المنهجيّة المتناسقة لموضوعات علم الكلام لدى دارسيه . ولذلك أدرجنا بحث العدل والفروع الأخرى المترتّبة على الحكمة في مباحث الصفات . وهو الذي اقترحناه ونهجناه في كتابنا الموسّع « الإلهيات » ..

بداية المعرفة ـ السيد حسن مكي العاملي ـ ص ٦ ـ ٧

ملاحظة : كتاب " الإلهيات " محاضرات لآية الله جعفر السبحاني
(دونها وكتبها: السيد حسن مكي العاملي)

يمتاز موضوع العدل الإلهي بأهمية فائقة نتيجة تأثيره البالغ في بلورة رؤيـتنا حول التعامل الإلهي معنا وتحديده العلاقة فيما بيننا وبين اللّه تعالىٰ، وتركه الآثار الواضحة في مختلف جوانب حياتنا الفردية والاجتماعية.

وقد تعرّض موضوع العدل الإلهي ـ للأسف الشديد ـ إلىٰ هجمات مغرضة من قبل بعض السلطات الجائرة التي هيمنت علىٰ العالم الإسلامي في العصور السابقة، وقد تركت هذه الهجمات الآثار السيئة في عقول ونفوس المسلمين نتيجة وقوعهم في التفسيرات الخاطئة لكيفية التعامل الإلهي مع الإنسان.

وقد وقف أئمة أهل البيت عليهم السلام بوجه هذه التيارات المنحرفة التي استهدفت العدل الإلهي وأشاعت مفهوم الجبر بين الناس، واهتم أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام ـ اقتداءً بسيرة أئمتهم الهداة، واعتماداً علىٰ كلماتهم النـورانـية ـ بـمسألة إصـلاح الرؤيـة الخاطئة حول العدل الإلهي، وأكّدوا علىٰ تنزيه اللّه تعالىٰ عما لا يليق بشأنه حتّىٰ أصبح موضوع العدل الإلهي ـ بمرور الزمان ـ أصلاً من أصول الدين عندهم.

وقد اهتم علماء مذهب أهل البيت عليهم السلام ـ علىٰ مرّ العصور ـ بهذا الموضوع في مصنّفاتهم، وتناولوه من جميع الجوانب، وحاولوا تأسيس الإيمان باللّه علىٰ ضوء قواعد معرفية متينة وإشاعة الفهم الصحيح لموضوع العدل الإلهي من أجل صيانة أبناء المجتمع من العقائد الضالّة والاختراقات الفكرية المنحرفة، ولتكون علاقتهم مع ربّهم قائمة علىٰ أسس عقائدية مبتنية علىٰ أدلة وبراهين ساطعة.

ولكن المشكلة التي نعاني منها ـ في يومنا هذا ـ هي أنّ المفاهيم المـطروحة

حول موضوع العدل الإلهي في كتب هؤلاء العلماء علىٰ رغم امتلاكها القيمة العلمية الكبيرة، فإنّها مؤلّفة بلغة زمانها ومدوّنة وفق المناهج السائدة في عصرها.

ولهذا تطلّب الأمر ـ في مرحلتنا الراهنة ـ القيام بإعادة صياغة هذه المفاهيم وتبيينها وفق عرض جديد ومحاولة تطويرها بقدر الإمكان لتكون غذاءً فكرياً مناسباً لمتطلّبات واحتياجات العصر، ولتكون زاداً علمياً منسجماً مع أجواء الساحة العلمية والفكرية المعاصرة.

العدل الإلهي عند مذهب أهل البيت (ع) – علاء الحسّون – ص ٩ – ١٠
(مطبعة ليلى ـ الطبعة الأولى)

للتوسع راجع:
العدل الإلهي – آية الله مرتضى المطهري

للبحث و المناقشة

بعد الرجوع لكتب التفسير، اذكر الأفكار الرئيسة لما جاء في تفسير الآيتين الشريفتين:

۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠

سورة النحل

وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ١١٣

سورة هُود

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

اللهم
صل و عجل
محمد
فرجهم
آل
على
محمد

وفقنا الله وإياكم لخير الدنيا والآخرة

ونسألكم الدعاء

إلى اللقاء في الحلقة الثالثة